

## مقدمة:

تنوّع إنتاج الشاعر هاشم الرفاعي<sup>(١)</sup> الشعري، ما بين شعر وطني ينادي بالثورة على كل ما يقضىُ أمن مصر، بداية من إخراج الإنجليز، ثم الكلام عن سلبيات الثورة، وشعر آخر يتحدث عن جمال الطبيعة وأيام الصبا في بلاده أنساص الرمل، وغيرها من الميادين الشعرية الأخرى، ورغم أغراضه الشعرية المترفة .

وهنأ من نسبه لثورة الثالث والعشرين من يوليو، بل واعتبروه ابناً لها، وطوعوا قصائده في هذا الإطار، وظل هكذا حتى وقت قريب .

وتارة نسبوه لجماعة الأخوان المسلمين، بل وجعلوه من أشد معارضي عبد الناصر في هذه الفترة.

كما أن شعر هاشم الرفاعي في مجلمه مصبوغاً بالدعوة إلى الإسلام، والجهاد، والصحوة الإسلامية، وتذكير الشباب بتاريخ الإسلام والعرب، فأشعاره الوطنية لا تخلو من ذلك، وكذلك أشعاره التي يدعو فيها إلى الوحدة العربية، وإحياء اللغة العربية، وأشعار المناسبات الدينية وغير الدينية كلها لا تكاد تخلو من الدعوة إلى إحياء الإسلام وتعاليمه في وجدان الشباب، والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، واتخاذ الكتاب والسنة مصدرين أساسيين للتشريع، وهذا ما حدا بالكثير من كتاب الدعوة الإسلامية إلى أن يضعوا هاشماً في قمة الشعراء الداعين للعروبة والإسلام.

فإن الحقيقة أن هذا الشاعر لم يكن مؤيداً أو معارضًا على طول الخط ، ولم يكن بوقاً لثورة يوليو، كما لم يكن ممثلاً لاتجاه إسلامي معين ، بل عاش مستقل الرأي يؤيد الثورة وينتقدها ، ويؤيد الاتجاه الإسلامي وينتقده أيضاً على حسب رؤيته الشخصية .

وما يخصنا الآن هو موقف الشاعر من السلطة سواء برفضها، والتمرد عليها، وبيان سلبياتها وعيوبها، أو بتقبلها، والوقوف إلى جوارها، والمنافحة عنها أمام أعدائها .

فنجده مثلاً عقب ثورة يوليو وفي شهر سبتمبر من عام ١٩٥٢ يقرن ويربط بين عيد الهجرة وبين قيام الثورة التي ارتجاها الشعب أن تخلصه من الفقر والمرض والاستعمار، لذلك نجده يقول في قصidته عيد الهجرة :

رَكِب الشدائِد وامْتَطَى الأَهواَل  
عِيدَ تَبَدَّى فِي السَّمَاء هَلَالا  
رُفعَ الْقُيُود وحَطَمَ الْأَغْلَالا  
يَبْكِي عُلَاهُ وَيَشْتَكِي إِلَزَالا  
وَالشَّعْبُ يَشْكُو الْجُوعَ وَالْإِقْلَالا  
لِلظُّلْمِ يَجْعَلُ صَرْحَهُ أَطْلَالا  
نَالَتْ مَقَايِيدَ الْخُلُودِ نِضَالا  
أَحْيَا قُدُومُكَ بَيْنَنَا آمَالا  
فِيهَا الْقَوْيُ سَقَى الْضَّعِيفَ نَكالا  
فِي الْأَرْضِ قَدْ دَاقَ الْعَنَا أَشْكالا  
وَقَدْ ارْتَدَى مِنْ بُؤْسِهِ سِرْبَالا  
تَعْثُو الْجَبَاهُ لِمَجْدِهِ إِجْلَالا  
مَجْدٌ يَعِزُّ لَدِي الْأَنَامِ مَنَالا<sup>(١)</sup>

وَمِنْ ابْتَغَى الإِصْلَاحَ فِي أَرْضِ الْوَرَى  
عَامُ قَضَيْنَاهُ وَأَقْبَلَ بَعْدَهُ  
قَدْ جَاءَ يَلْقَى النَّيلَ حَرَّاً بَعْدَمَا  
كَمْ مَرَّ وَالوَادِي جَرِيْحٌ حَائِرٌ  
فَالنَّيلُ عَبْدُ الْكِنَانَةِ فِي أَسَى  
حَتَّى أَتَى الْجَيْشُ الْمُظَفَّرُ وَانْبَرَى  
لَمْ تَبْلُغْ الْمَجْدُ الْأَثِيلَ كَامَّةٍ  
يَا يَوْمَ هِجْرَةِ خَيْرٍ دَاعِ لِلْهُدَى  
مَا أَنْتَ إِلَّا رَمْزُ كُلِّ قَضِيَةٍ  
مَا أَنْتَ إِلَّا عِيدُ كُلِّ مُعَذَّبٍ  
يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي الْقُيُودِ مُكَبَّلًا  
فَإِذَا بِهِ بَعْدَ الْمَذَلَّةِ سَيَدُ  
كَتَبَ إِلَهُ لِمَصْرَ مَا تَرْجُوهُ مِنْ

من خلال هذه الأبيات التي كان يأمل فيها الشاعر من ثورة يوليو الإصلاح والتقدم والرقي ، وأن يخلص الجيش المظفر البلاد من فقرها وفسادها وجوعها وذلها ، حتى أصبح النيل حراً ، وارتفعت القيود والأغلال عنه ، وقد أحسن الشاعر استغلال رمز الهجرة فيها

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي : الأعمال الكاملة ، تحقيق ودراسة عبد الرحيم جامع الرفاعي ، ص ١٧٧ - ١٧٨ ، مكتبة الإيمان ،

انتصر الضعيف ، بل وأذاق القوي الهوان وجعله عِبرة لغيره ، وفي الهجرة تتجلّى لنا الحكمة الإلهية التي تقف لجوار المعذب الضعيف الذي ذاق الذل ألواناً ، والذي عاش في قيوده مكبلاً ، وفي بؤسه متسلباً ، حتى غدا سيداً مكرماً في بلده ، يعيش في مجده ، ويحيا في مناله ، ويستمتع بعزته وكرامته .

وهكذا يستمر موقف الشاعر هاشم الرفاعي الذي كان يرى في ثورة يوليو أملاً لمصر كلها ، حتى إن الثورة عندما أنشأت تنظيمياً سياسياً باسم هيئة التحرير ، نراه يقف في مارس ١٩٥٣ ويلقي قصيدة باسم صوت التحرير يقول فيها :

فجرُ أَطْلَّ عَلَى الْكَنَانَةِ مُشْرِقاً يَجْلُو بِطْلَعَتِهِ الظَّلَامَ الْمُطْبَقاً  قَدْ كَانَ هَذَا الْفَجْرُ حُلْمَ خَيَالَنَا لِلَّهِ هَذَا الْحَكْمُ كَيْفَ تَحَقَّقَ  أَرْضُ الْكَنَانَةِ جَنَّةُ اللَّهِ الَّتِي مَنْ مَسَّهَا بِالسُّوءِ خَابَ وَأَخْفَقَ  سِيفُ الْعَنَيَّةِ قَوْضَ الْعَهْدِ الَّذِي قَدْ كَانَ نَبْعَادًا بِالْفَسَادِ تَدَفَّقَ <sup>(١)</sup>
---

الشاعر يرى في ثورة يوليو فجراً يزيل الظلم المسيطر على مصر منذ سنين ، وقد كان هذا الأمل الذي عبر عنه الشاعر بالفجر في البيتين الأول والثاني السابقين هو الحلم الذي ظل يراود المصريين حتى تحقق لهم لأول مرة على أيدي أبناء مصر الذين قاموا بالثورة ، لذلك يرى الشاعر أن الذي يمس أرض مصر بالسوء فلابد أن يخيب ويفشل ؛ لأنها جنة الله في أرضه ، ولن يتركها الله أبداً ، بل لابد أن يوفق لها من ينتشلها من الفساد ، ويمد لها يد العون ، بعدما كانت مرتعاً للفساد على مدار سنين الاحتلال .

حتى إذا ما وصل بنا الشاعر إلى قوله :

إِنِّي أَرَى عَهْدًا تَكَاثِرَ خَيْرَهُ عَهْدٌ تَفَرَّدَ بِالْمَحَاسِنِ وَحْدَهُ وَيَزِينُهُ الْعَمَلُ الَّذِي نَسَمُوهُ بِهِ  قَدْ فَاضَ يُمْنَأَ بِالْبَلَادِ وَأَغْدِقَ فِيهِ النَّظَامُ بِالاتِّحادِ قَدْ التَّقَى فَيَزِيدُنَا بَيْنَ الْمَمَالِكِ رَوْنَقًا <sup>(٢)</sup>
--

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

فنرى الشاعر هنا يشير إلى الشعار الذي كانت ترفعه ثورة يوليو عند قيامها والذي آمنت به جموع الشعب المصري في ذلك العهد وهو "النظام والاتحاد والعمل".

ثم يستكمل الشاعر في هذه القصيدة حدثه عن هيئة التحرير، والتي كان يُرجى منها الخير لهذا الشعب المسكين، وكان الشاعر يرى فيها المُدافِع عن حقوق الشعب الضعيف، فهم الذين سيأخذون بيد مصر إلى المرتقى، وهم الذين سيغرسون في أرض الكنانة المجد، وهم الذين سيحققون لبلادنا الجلاء، وهم أمل الوادي في تحقيق حلم طال انتظاره لدهور وأجيال.

كما نجد الشاعر هاشم الرفاعي يشعر بشعور المصريين الذين كانوا في أوج فرحتهم إبان قانون الإصلاح الزراعي، والذي نص على توزيع الأراضي على صغار المُلّاك والفقراء، وقد اتضح ذلك في قصidته "توزيع الملكية - حياة شعب" والتي يقول فيها :

أَمْلُ تَحَقَّقَ فِي الْبَلَادِ عَسِيرٌ      قَدْ كَانَ فِي خَلْدِ الْفَقِيرِ يَدُورُ  
لَمَّا أُعْيَدَ إِلَى الْكِنَانَةِ مَجْدُهَا      وَانْجَابَ عَنْهَا اللَّيْلُ وَالدَّيْجُورُ  
وَأَطَلَّ عَهْدُ مُشْرِقِ الْجَنْبَاتِ قَدْ      سَطَعَ السَّنَى بِقُدُومِهِ وَالنُّورُ  
غَمَرَ الْبَلَادَ بِهَاطِلِ مِنْ يُمْنِهِ      وَتَدَفَّقَتْ لِلخَيْرِ فِيهِ بُحُورُ<sup>(١)</sup>

فالشاعر هنا يقف قلباً وقالباً مع هذا الأمل الذي كان يراود المصريين - خاصة الفقراء - بأن تعود الأرض لأصحابها، ويكون هناك عدل في توزيع الثروة بما يحقق مبدأ هاماً من مبادئ الثورة وهو "إقامة عدالة اجتماعية".

كما نجد الشاعر هاشم الرفاعي يمدح توقيع اتفاقية الجلاء عن مصر في السابع والعشرين من يوليو ١٩٥٤، وذلك حين وقعت الحكومة المصرية مع الحكومة البريطانية اتفاقية الجلاء بحروفها الأولى، فيخرج علينا بقصidته "يوم الجلاء" والتي يقول فيها :

<sup>(١)</sup>ديوان هاشم الرفاعي :

إذا آن لابن النيل أن يُدرك النَّصْر  
 وإن لهذا اللَّيلَ أَنْ يُظْهِرَ الفجرا  
 فِيَا مَصْرُ هَذِي سَاعَةُ الْمَجِدِ قَدْ دَأَتْ  
 وَيَا وَادِيَ الْأَحْرَارِ عُدْتُ لَنَا حُرا  
 مَضَتْ دُونَ هَذَا الْيَوْمِ سَبْعَوْنَ حِجَةً  
 بِهَا طَالَ الْاسْتِبْدَادُ وَاسْتَنْفَدَ الصَّبَرَا<sup>(١)</sup>

إن الشاعر هنا لا يشعر بشعوره فقط، ولا يحس بإحساسه فحسب ، بل إن إحساسه يشارك فيه المصريين كلَّهم ، وسعادته تعم البلاد طولاً وعرضاً ، إنه اليوم الذي انتظرناه لأكثر من سبعين سنةً ،وها هو الأمل البعيد المنال قد صار حقيقةً ، واستحال المستحيل ممكناً .

كما أن الشاعر كان يعيش في جو نفسي مفعم باليأس ، والسبب هو ذلك المحتل الجاثم على صدر الأمة ، والذي يتحكم فيها ، ويتصرف في مقدراتها كيفما شاء ، لدرجة أن الشاعر كان إذا سمع عن أي دولة تذوق الذل على أيدي المحتل تذكر مصر ، وأحس أن يوم الحشر وجلاء العدو عن بلادنا مقتربان كما يقول :

وَكُنْتُ إِذَا مَا ذاقَتِ الظُّلْمَ دُولَةً  
 عَلَى يَدِ مَحتَلٍ ذَكَرْتُ بِهَا مَصْرًا  
 فِيَا يَوْمِ إِجلَاءِ الْعَدُوِّ عَنِ الْحِمَى<sup>(٢)</sup>  
 ظَنَنْتُ – وَحْقُّ اللَّهِ – مَوْعِدَكَ الْحَشَّرَا<sup>(٣)</sup>

ولا ينس الشاعر في هذه القصيدة ما قام به الشباب من تضحيات في سبيل الوطن ، ولا ينسى الدماء التي أُريقت فداءً للوطن ، ولا ينسى الشعب الذي ظل يكافح ويجاهد من أجل حرية واستقلاله ، فالشعب لن يسكت أبداً عن نيل مأربه ، ويدعوه لتخليد هذه الذكرى حين يقول :

وَإِنْ يُدْرِكِ الْوَادِيُ الْجَلَاءُ فَجَدَّوْا  
 مَدَى الدَّهْرِ فِي عِيدِ الْجَلَاءِ لَهُمْ ذِكْرٌ<sup>(٤)</sup>

<sup>(1)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(3)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

إن الشاعر هاشم الرفاعي قد عاش مع الثورة في بدايتها ، وعاش معها في أحلامها وأمالها التي آمن بها المصريون ، وأخذ يؤيد الثورة ويمدح رجالها ، حتى تعرض الشاعر للفصل من المعهد الأزهري بالزقازيق بسبب مشروع تطوير الأزهر في ذلك الوقت <sup>(١)</sup> ، ليس هذا فحسب ، ولكن بسبب تأييده – هو وبعض زملائه في المعهد – للديمقراطية والحرية ضد الاستبداد وإلغاء الأحزاب السياسية في ذلك الوقت .

ومن هنا بدأ الشاعر يعرض سلبيات الثورة ، ويفند أسلوب الاستبداد الذي تحولت إليه الثورة ، فأخرج لنا الشاعر خلاصة ما شعر وأحس به على مدار أربع سنوات ( من أكتوبر عام ١٩٥٤ م إلى يوليو عام ١٩٥٧ م ) في ديوانه " جراح مصر " ، والذي يعتبر صيحة في وجه السلطة والاستبداد بالحكم ، خاصة بعد انفراد جمال عبد الناصر بالسلطة وتنكره لمبدأ الثورة السادس وهو إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

إن الشاعر يصرخ في وجه السلطة في وقت كان أغلب من على الساحة يصفقون لها ، إنه يُسْطِر آلام الناس وأحساسهم ، ويعبر عن الضغط النفسي الذي عاش فيه خلال تلك الفترة التي قضاها في هم وغم ، حتى أنه يرى أن كل قصيدة من هذه القصائد العشر فيها إعدام ، كل ذلك بسبب مطالبته ومن حوله بحرية التعبير عن الرأي .

نجد الشاعر يبدأ هذه المجموعة من قصائده بقصيدة " مصر بين احتلالين " والتي نظمها في أكتوبر من عام ١٩٥٤ و يقول في مطلعها :

قالوا الجلاء فقلتْ حلمُ خيالٍ لا تَطْمِعُوا في نَيْلِ الاستقلالِ  
ليُسْطِرَ آلامُ الناسِ وأحاسيسهم ، ويعبر عن الضغط النفسي الذي عاش فيه خلال تلك الفترة التي قضاها في هم وغم ، حتى أنه يرى أن كل قصيدة من هذه القصائد العشر فيها إعدام ، كل ذلك بسبب مطالبته ومن حوله بحرية التعبير عن الرأي .

إن الشاعر في هذه الأبيات لا يرى أن الجلاء الذي حققه الأمة بتوقيع اتفاقية عن قناة السويس مع بريطانيا هو الجلاء الحقيقي ، إنما الجلاء خروج المصريين من نير العبودية

<sup>(١)</sup> حدث ذلك في خريف العام الدراسي ١٩٥٤ - ١٩٥٥ م ، ولم يعد للدراسة إلا في الثامن من نوفمبر عام ١٩٥٥ م ، أي بعد مرور أكثر من عام على فصله من المعهد .

<sup>(٢)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

والذل ، وشعورهم بالحرية والاستقلال النابعين من داخلهم ، لا من قرار يُتخذ ، أو موقف تملية عليهم سلطة معينة .

ولهذا نجد الشاعر يتحدث صراحة عن وقوع البلاد فريسة لنزوات الضباط الأحرار وصراعاتهم ، وذلك عندما يخص منهم بالذكر جمال عبد الناصر صاحب السلطة الفعلية في البلاد ، وصلاح سالم المتحدث باسم القيادة فيقول :

فِي الْبَطْشِ مَبْلُغٌ سَالِمٌ وَجَمَالٌ سَنَزِيْحُ عَنَّا مُرْهِقُ الْأَثْقَالِ هِيَهَاتٌ لِلظَّمَانِ رَيْ إِلَّا <sup>(١)</sup>	مَا كَانَ هَذَا الْأَجْنَبِي بِبَالِغٍ وَلَقَدْ ظَنَّا أَنَا فِي عَهْدِهِم حَتَّى تَكَشَّفَ لِلْبَلَادِ خِدَاعُهُمْ
---	---

ويستمر الشاعر في بيان أن الشعب قد خرج من احتلال إنجلترا وظلمها ، ليقع في احتلال أشد وأظلم وهو الحكم المستبد ، بعد أن ظن الجميع أن مصر مقدمة على عهد جديد هو عهد الحرية والديمقراطية .

ويستمر الشاعر في بيان ما يكابده الشعب تحت وطأة هذا الاحتلال الجديد حتى نجده يقول :

فِي سُجْنِكَ الْحَرْبِيِّ مِنْ أَهْوَالِ سَجْنًا كَبِيرًا مُحْكَمَ الْأَقْفَالِ قَدْ آذَنْتُ شَمْسً لِكُمْ بِزَوَالِ سَتَظْلُلُ تَهْمِي لِعْنَةَ الْأَجْيَالِ <sup>(٢)</sup>	لَمْ يَعْرِفِ الْبَاسْتِيلُ يَوْمًا بَعْضُ مَا مَنْ كَانَ يَخْشَاهُ فِيمِصْرُ قَدْ غَدَتْ فَاغْنَمَ مِنَ الْلَّذَّاتِ حَظًا وَافْرًا وَمَدِي الْحَيَاةِ وَفِي الْقَبُورِ عَلَيْكُمُو
---	---

<sup>(1)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

إن الشاعر هنا يرى أن سجن الباستيل الذي كان رمزاً للاستبداد والظلم في فرنسا ، والذي هاجمه جموع الشعب الفرنسي وهدموه في إبان الثورة الفرنسية في الرابع عشر من يوليو عام ١٧٨٩ ، لم يكن هذا السجن بأقل حالاً من السجن الحربي الذي بناه الإنجليز في مصر ، وبدلاً من هدمه مع بداية فترة ثورة الثالث والعشرين من يوليو ، وتحول مصر إلى العصر الديمقراطي ، استخدمه قادة الثورة لإذلال الأحرار ، ولكن هذا السجن سيصير لعنة عليهم في حياتهم وبعد مماتهم .

ونفس الإحساس نجده في القصيدة الثانية والتي بعنوان " جلاد الكنانة " حيث نجده يقول فيها :

وأعدْ عهود الرّقْ لِلأَذْهَانِ وافرضْ عَلَيْهِ شُرِيعَةَ الْقُرْصَانِ بُولِيسِكَ الْحَرْبِيِّ وَالْأَعْوَانِ <sup>(١)</sup>	أَنْزَلَ بِهَا الشَّعَبِ كُلَّ هُوَانِ واقْتُلْ بِهِ مَا اسْطَعْتَ كُلَّ كِرَامَةِ أَطْلِقْ زَبَانِيَةَ الْجَحِيمِ عَلَيْهِ مِنْ
---	--

فالشاعر هنا يتحدث عن معاناة الشعب بأسره ، ومدى الهوان والذل الذي يعيش فيه ، ويرزخ تحت وطأته ، حتى صارت الشريعة المتحكمه في الشعب هي شريعة القراءنة ، ولا مانع من مطاردة الشعب بهؤلاء الزبانية الذين يطلق عليهم قوات حفظ النظام والأمن في كل زمان ومكان ، وهم أبعد ما يكونون عن حفظ الأمن والأمان لهذا الشعب .

كما يوجه الحديث مباشرة لقادة ثورة يوليو حين يقول :

هَبْنِي حُدِّعْتُ بِكُلِّ مَا زَيَّفْتَهُ عَنْ سَادَةِ الْأَحْزَابِ وَالْإِخْوَانِ <sup>(٢)</sup>
--

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(٢)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

فالشاعر هنا يشير إشارة واضحة لتلك المؤامرة التي حَيَكت ، وقد ذهب صحيحة هذه المؤامرة عدد كبير من قادة الأخوان المسلمين وشبابها ، كما وقع الاعتداء أيضاً على قادة الأحزاب الذين راحوا ضحية لهذه المؤامرة .

ثم يوجه الكلام مباشرة لرئيس مصر في ذلك الوقت محمد نجيب فيقول :

هـل خـان قـائـدـنـا " نـجـيـب " عـهـدـنـا  
أـم رـاح نـهـبـ الـحـقـ وـالـأـضـفـانـ  
لـم يـرـضـ بـالـحـكـمـ اـنـفـرـادـاـ غـارـداـ  
بـعـدـ الـعـهـودـ وـبـيـعـةـ الرـضـوـانـ<sup>(١)</sup>

فالشاعر هنا يشير إلى رغبة محمد نجيب في العودة للحياة النيابية ، وعدم الانفراد بالحكم ، ولكن رغبة عبد الناصر هي التي تحققت – كما يرى الشاعر – واستطاع الحصول على الحكم منفرداً ، وقد وَفَّر عبد الناصر لنفسه من الأسباب ما مكنته من السيطرة على عقول الناس بفضل أبواقه التي كانت تخرج على الناس صباح مساء خاصة الصحافة والإذاعة .

ويتعجب الشاعر من قَصْر كل وظيفة على ضباط الجيش حين يقول :

حـتـىـ كـانـ بـمـصـرـ كـُلـ كـفـاءـةـ  
قـصـرـتـ عـلـىـ أـبـطـالـهـاـ الفـرـسانـ<sup>(٢)</sup>

الشاعر هنا يرى أن استغلال السلطة ، ورغبة الضباط في تَقْلِيد كل المناصب السياسية والاجتماعية الثقافية ، هو الذي أدى إلى تأخُّر البلاد ، وإشاعة الفوضى في كثير من قطاعات الدولة ، وذلك لأن الضباط لم يكن لديهم من الخبرة الفنية والعلمية ما يؤهلهم لهذه القيادة للبلاد .

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

واستشراقاً من الشاعر لما يمكن أن يحدث في المستقبل في معرض حديثه عن الجيش المشغول بإذلال الشعب ، والعرض العسكري ، في حين أن العدو يقف بالباب متربصاً ، وينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض علينا نراه يقول :

لَنْ تُدْرِكَ النَّصْرُ الْمُرَادُ إِذَا التَّقَى  
يُومًا بِإِسْرَائِيلَ فِي مَيْدَانِ  
أَثْرِيدُ مِنْ جَيْشٍ هَزِيلٍ قَادَهُ  
صَاعُ دِفَاعًا سَاعَةَ الْعُدُوَانِ<sup>(١)</sup>

فالصاغ المشار إليه في الأبيات هو الذي صار المشير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية ، ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، والقائد العام للقوات المسلحة ، وكان برتبة صاغ حين تولى القيادة العامة ، المهم أننا نرى من الشاعر استشراقاً لما آلت إليه الأحداث بعد رحيل الشاعر بسنوات ، فحدث ما تنبأ به ، وهزمت مصر عام ١٩٦٧ .

كما نجد الشاعر يوجه انتقاداً مباشراً لجمال عبد الناصر حين يقول له في عدة أبيات :

مَهْلًا فَأَيَامُ الْخَلَاصِ دَوَانِي	جَلَادَ مَصْرَ ! وِيَا كَبِيرَ بُغَاثَاهَا
لَلْعِنْتَ يَا فِرْعَوْنَ فِي الْقُرْآنِ	لَوْ كَانَ عَهْدُكَ قَبْلَ عَهْدِ مُحَمَّدٍ
سَيَكُونُ رَبُّ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ <sup>(٢)</sup>	نَيْرُونُ لَوْ قِيَسْتُ بِكُمْ أَفْعَالُهُ

فالجلاد هنا بل كبير البغاء هو جمال عبد الناصر الذي تحدث عنه الشاعر هكذا في أقوى فترات سطوطه وامتداده ، وهذا الخلاص الذي يتمناه الشاعر قريباً وبذكر به لعل مصر تفيق من غفوتها وتعود لسابق عهدها ، وقد قاس الشاعر شخصية جمال عبد الناصر بشخصيتين ضرب بهما المثل في الظلم والاستبداد بالشعوب ، وهما فرعون في القدم الذي لعن في القرآن ، ولو كان عهد عبد الناصر سابقاً لعهد محمد - صلى الله عليه وسلم - للعن في

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(٢)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

القرآن كما لُعن فرعون ، أما نيرون الذي ضرب به المثل حديثاً فهو رب الخير والإحسان بكل ما فهله إلى جوار عبد الناصر .

أما حالة المعاناة النفسية الداخلية التي مرّ بها الشاعر هاشم الرفاعي حتى جعلته لا يرى للربيع جمالاً ، ولا يشم للزهور عطراً ، ولا يسمع للطيور تغريداً ، على الرغم من قدوم فصل الربيع ، ليس هذا فحسب بل قدوم عيد ميلاده الذي يوافق السابع من إبريل ، ولكن الشاعر لا يرى لكل ذلك أثراً ، والسبب حالة التشريد والتنكيل التي تظلل البلاد والعباد ، وقد انعكس كل ذلك على نفسه حتى قال :

رَبِيعُ أَظَلَّتْهُ الْعُهُودُ السُّودُ  
وَمَا لَهُ فَوْقُ الشَّفَاءِ نَشِيدُ  
فَلَا النَّيلُ بَسَّامٌ بِيَوْمٍ وَرُودٍ  
وَلَا عِيَدٌ بَيْنَ الْمَصَابِ عَيْدٌ<sup>(١)</sup>

ويستمر الشاعر موضحاً معاناته ومعاناة الشعب حين يقول :

أَفِي مَصْرَ نَحْيَا الْيَوْمَ أَمْ فِي جَهَنَّمَ  
فَقَدْ نَضِجْتُ مِنْا الْفَدَاهَ جَلَوْدُ  
ثَلَاثَةُ أَعْوَامٍ رَأَيْنَا خَلَالَهَا  
مِنَ الْهَوْلِ مَا لَا قَدْ رَأَتَهُ ثَمَودُ  
وَدُقْنَا مِنَ الْإِرْهَابِ مَا لَا يَدْوُقُهُ  
وَلَوْ مَرَّةً عَنْ الْحُدُودِ يَهْوُدُ<sup>(٢)</sup>

فالشاعر يرى أنه لا يحيا في مصر كنانة الله ، وإنما صارت جهنم بفعل ما يحدث فيها خلال الثلاث سنوات التي اعتلى فيها عبد الناصر سدة الحكم وكرسي السلطة في مصر ، إنه هول لم يره قوم صالح ، ولا اليهود عند خروجهم من مصر .

ويواصل الشاعر غضبته في قصيدة أخرى بعنوان زفة والتي كتبها في إبريل من عام

١٩٥٥ حين يقول :

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

المُخَيَّمُ والجَرَاحُ  
 تحت تهديدِ السَّلاحِ  
 الثُّور .. أَحْلَمُ بِالصَّبَاحِ  
 يُمْضِهُ وَخْزُ الرِّماحِ  
 من جُمالٍ.. من صلاحٍ<sup>(١)</sup>

أنا يا أخي في التَّيل والظُّلُمُ  
 في ظُلْمَةِ الإِرْهَابِ أَحْيَا  
 مُتَلَهِّفًا لِلْفَجْرِ .. فَجَرِ  
 وَالشَّعْبُ مَجْرُوحُ الْإِبَاءِ  
 دَامِي الْفُرْؤَادِ مِنَ التَّعْسُفِ

إن الشاعر في هذه الأبيات يوجه حديثه لكل المصريين كي يشاركونه في شعوره بالظلم والتعسف والجرح ، إنه في ظلمة الإرهاب يعيش حالة من الرعب والأسى تحت تهديد السلاح ، والأمل كل الأمل في فجر جديد ينتشر فيه نور الأمل وصباح الحرية والخلاص ، أما الشعب فهو مجروح في عزته وكرامته يؤلمه ما يتعرض له من ذلة وهوان وتعسف وظلم والسبب هو قائد الثورة جمال والمحظى باسمها صلاح .

هذا النقد المباشر الذي يوجهه الشاعر لجمال وصلاح كان جديراً باللحظة في وقت كان الأغلب يتبعده في محارب الثورة ، ولم يكن هناك من يرى أي ضيم أو ضيق فيما يفعله قادة الثورة .

حتى عندما عاد الرئيس جمال عبد الناصر من مؤتمر باندونج في أندونيسيا سنة ١٩٥٥ ، والذي عقد لدول عدم الانحياز نرى الشاعر هاشم الرفاعي يخرج علينا بقصيدة على عكس حالة الشحن التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك إذ يقول :

ولمن نصَبْتُمْ هذِهِ الْأَعْلَامَ؟ أَبْصَرْتُ فِيهِ حَرَارَةً وَزَحَاماً؟ <sup>(٢)</sup>	قومي علامٌ تُهَلِّلُونَ عَلَاماً؟ وَلَأَيِّ عَيْدٍ قَدْ أَقْمَتُمْ مُوكِباً
---	--

<sup>(1)</sup> ديوان هاشم ا :  
<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

إن هيئة التحرير قد قامت بجمع العمال ، وحشد الجماهير للوقوف على جانبي الطريق لاستقبال الرعيم جمال عبد الناصر ، والشاعر لا يرى له أحقيّة في هذا الاستقبال الشعبي ؛ لأن هذا الإعجاب الذي أخذ يزداد به على مر الأيام ، كان يخفي وراءه الكثير من الحقائق المُرّة داخل مصر من أزمات مالية واعتقالات سياسية .

لذلك استمرّ الشاعر في بيان هذه المفارقات حين قال :

عَرَفَ الْحَيَاةَ ثَعَسْفًا وَظَلَامًا ؟ مِنْ بَعْدِ أَنْ دَقَّنَا الْأَسَى أَعْوَامًا ؟ فِي الْبَرْلَمَانِ يُحَاسِبُ الْحُكَامَاءِ ؟ مُرّ الْحَقِيقَةِ يَأْلَفُ الْأَحْلَامَاءِ ؟ زادَتْ شَقِيقَةُ حَيَاةِهَا آلَامَاءِ (١)	هَلْ صَارَ وَادِي النَّيلِ حُرَاً بَعْدَ أَنْ هَلْ عَادَ دُسْتُورُ الْبَلَادِ يُظِلُّهَا هَلْ قَامَ مِنْ بَعْدِ التَّجَبُّرِ نَائِبٌ بَشَّرَتْمُونِي بِالْخَلاصِ وَمَنْ يُدْقُّ يَا أُمَّةً مُنِيَّتْ بِأَفْدَحِ نَكَبَةِ
--	---

فالشاعر لا يرى أي تغيير في حياة الشعب ، بل يرى الأمور تصير من سيئ إلى أسوأ ، فلا شعرت مصر بالحرية ، ولا عاد للبلاد دستور قوي يحكمها ويعيد الحقوق لأصحابها ، حتى البرلمان الذي هو صوت الشعب لا يقدر نائب فيه على محاسبة الحكومة ولا الحاكم ، على الرغم من أحقيّة الشعب في ذلك ، والخلاص الذي كان يرجوه الشاعر تحول لحُلم كاذب بسبب الحقيقة الموجعة التي يعيشها الجميع ، لذلك يرى الشاعر أن كل ذلك نكبة لا تدانيها نكبة في حياة الشعب الذي كان يحلم يوماً بحريته ، والآن هو في مكافحة كل مظاهر الشقاء والآلام يعني الأمرَين .

---

(١) ديوان هاشم الرفاعي :

ثم يوجه الشاعر انتقاداً لاذعاً لجمال عبد الناصر حين يقول له :

مَنْ ذَلِكَ الصَّنْدِيدُ رَدَدَتْ أَسْمَهُ  
هَذِي الْأَلْوَفُ وَقَلَّدَهُ وَسَامَهَا ؟

أَوْ لَيْسَ مَنْ فَاقَ الطُّغَاءَ ضَرَاؤَهُ  
أَوْ لَيْسَ مَنْ صَبَّ الْبَلَاءَ مُضَاعِفًا

أَوْ لَيْسَ مُنْكَرَ كُلَّ حَقٍّ حَوْلَهُ  
قَدْ كَانَ أَوْلَى بِالْبَلَادِ لَوْ أَنَّهَا

هَلْ عَادَ مِنْ بَانْدُونِجْ يَا قَوْمِي سُوِّي  
مَنْ سَامَنَا إِلِازْلَالَ وَإِيلَامَا<sup>(١)</sup>

إن الشاعر لا يرى فيما تفعله الجماهير أي منطق ، فهذه الهتافات التي تستقبل بها زعيمها ، قد كان أولى بها لو تحولت لثورة في وجهه ، لأنه هو الذي سامها الذل والهوان بسبب ما آلت إليه البلاد من تردي وفساد ، فهذا السيد الشجاع قد فاق الطغاة في استحلاله لدماء الأبرياء ، وهو الذي أذاق البلاد الويالات وأثار في جنباتها الرعب والفزع ، وهو الذي ينكر الحق ولا يحققه ، فيتحول على يديه الحال حراماً ، وينكر ما آمن به الناس وعرفوه .

ويستمر في انتقاده له في قوله :

هُوَ لَعْنَةُ نَزَّلْتُ عَلَى قَوْمِي .. وَمَا  
زَالَوا عَلَى رَغْمِ الْهُوَانِ نِيَاماً

أَعْفِيهِ مِنْ كُلِّ الْمَلَامِ فَإِنَّهُ  
ذِئْبٌ رَأَى فِي جَوْعِهِ أَغْنَامَا<sup>(٢)</sup>

إن الشاعر يراه لعنة نزلت بقومه ، وبدلاً من أن يفيق القوم لغيروا هذا الواقع المؤلم ما زالوا في غفوتهم ؛ لذلك صدق الشاعر في مراده من البيت الثاني عندما تطغى الحكام وتصمت عنهم الشعوب ولا تأخذ على أيديهم ، فتدخل البلاد في سلسلة من النكبات .

ونفس الإحساس نجده مع الشاعر في قصidته السادسة ، والتي بعنوان مع الشورة في ربقة القيد ، والتي يقول فيها :

<sup>(1)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :  
<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

هو الظَّلْمُ يا ابْنَ النَّيلِ بِالنَّيلِ نازِلٌ  
 صَاحِلُكَ دَيْجُورُ .. وَحَقُّكَ ضَائِعٌ  
 تَمَرُّ بِكَ الْأَعْوَامُ وَاللَّيْلُ شَامِلٌ  
 وَعَهْدُكَ مَخْفُورٌ فَمَا أَنْتَ فَاعِلُ ؟ <sup>(١)</sup>

فالشاعر يرى الظلام المُخيّم على كل أنحاء مصر ، والليل يشملها من شرقها لغربها ، ومن شمالها لجنوبها ، حتى صاحبها صار ظلاماً ، وحقها ضاع على مر الأعوام ، لذلك ختم الشاعر بيته بهذا السؤال الذي يحمل من الحسرة والتآلُم على حال الشعب ، وما الذي سيفعله ؟

أما قول الشاعر :

يقولون : عَهْدٌ لانتقالِ ورفعِ سِيْعَقُبِهِ حُكْمٌ من الشّعْبِ كاملاً  
لَئِنْ كَانَ حَقًا مَا يُقَالُ .. فَمَا لَهُمْ عَلَى غَيْرِ مَا قَالُوا تَدْلُّ الدَّلَائِلُ<sup>(٢)</sup>  
فهما بيتان يصلحان لكل زمان ، فهكذا ادعى جمال عبد الناصر ورجال الجيش ،  
وهكذا يدعى المُدعّون في كل وقت ، حتى إذا ما استولوا على السلطة ، وصار الأمر  
بأيديهم تنكروا لكل ما قالوا ، واستبدوا بالسلطة حتى يقضي الله فيهم ، أو تقوم ضدهم  
ثورة أخرى .

ولكن إلى أي مدى يقف أمل الشاعر أو يمتد؟ إنه يرى بعين المستقبل ما لا يراه غيره، وهكذا الشعراً دائمًا عندما يستشرون المستقبل، وينظرون بعين البصيرة فيرى الشاعر :

كأني بهذا الشّعبِ قد ثارَ ثورةً  
وليُسْتَ عَلَى الإِخْمَادِ تَقْوَى الْقَنَابِلُ  
فلا يُسْتَطِعُ الْجَيْشُ كَبْحَ جَمَاحِهَا  
يَدْكُ لَدِيهَا حِصْنَهُمْ وَالْمَعَاقِلُ  
سَيُعْلَنُّهَا النَّاقُوسُ يَوْمًا .. وَعِنْدَهَا  
يُحِسُّ أَخْوَنَوْمٍ وَيَشْعُرُ ذَاهِلٌ<sup>(٣)</sup>

<sup>(1)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(3)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

قال الشاعر ما قال بعد الثورة بثلاث سنوات ، وتحقق ما قال بعد ذلك بست وخمسين سنة ، وثار الشعب هذه المرة ، ولم تقو القنابل ولا غيرها على إيقاف هذه الثورة، ودق ناقوس ثورة الشعب ، وصدق حدس الشاعر ، واستيقظ النائم على عظمة الشعب ، فهل يكتمل المشوار ؟

لذلك نرى مدى سعادة الشاعر بسقوط ركن من أركان النظام والسلطة في مصر ، إنه الصاغ صلاح سالم الذي عُزل في الحادي والثلاثين من أغسطس عام ١٩٥٥ ، فيقول هاشم الرفاعي :

وشاء لرکن البغی ان يتَصَدَّعا فبِتْ مِثْلَ مَنْ قَدْ بَاتَ بِالْأَمْسِ مُوجَعاً فَمُتْ بِالْأَدَى أَوْ عِشْ ذَلِيلًا مُضَيَّعاً وَعَدْ بِمَرِيرِ الْخِزْيِ مِنَّا مُشَيَّعاً بِأَيِّ فُؤَادٍ لِلتَّرَحُّمِ مَوْضِعاً <sup>(١)</sup>	أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تُذَلَّ وَتَخْضَعَ وَبَا طُولِ مَا أَوْجَعْتَ فِي مِصْرَ آمِنًا وَفَارَقْتَ دَسَتَ الْحُكْمِ وَالْأَنْفُ راغِمُ هُوَ الْكَأسُ قَدْ ذُقْنَاهُ فَاشْرَبَهُ عَلَقَمًا هَوَى غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ فَلَمْ يَدْعُ
---	--

إن الشاعر في قصidته يقص علينا مدى تحول السلطة من حال إلى حال ، وبعد أن كانت بيد الصاغ صلاح سالم المتحدث باسم القيادة ، والذي يصلو ويحول ، فيسب هذا ، ويتهكم على هذا ، ويخترق النظام والقانون باسم السلطة ، شاء الله إلا أن يذله ويلوي عنقه ، ففارق الحكم غير مأسوف عليه ، وحد عبد الناصر إقامته في منزله " ولعل عبد الناصر قد خشي من طغيان شخصية صلاح عليه بسبب الدعاية التي رافقته بخاصة في مفاوضات السودان ، والشهرة التي نالها على إثر زيارته لجنوب السودان ، حيث رقص مع سكان الجنوب تلك الرقصة التي كانت موضع تهكم الإنجليز عليه ، فأطلقوا عليه اسم الصاغ الراقص "<sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :  
<sup>(٢)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

ولم يكن هاشم الرفاعي يرحب في سقوط الفرد فحسب بل كان يتمنى شيئاً آخر :  
 وكان سُقُوطُ الْفَرِيدِ مَصْدَرَ فَرَحَةٍ      فكيف يكون الأمر لو سقطوا معاً ؟  
 وكانت قلوبُ الشعُبِ أَقْوَى وَأَمْنَعَا<sup>(١)</sup>      تخذتم من الجنديِّ الْكَثِيفِ حُصُونَكُم

فقد كان الشاعر يتمنى لو سقط النظام كله ، وتخلى مصر من سلطة هؤلاء العسكري ، الذين اتخذوا من الجنود أمناً وحمايةً لهم ، وكان أولى بهم لو عادوا إلى الشعب ، فتحصنوا به ، وتعايشوا معه ، واتخذوا منه الملجأ والحماية الحقيقية .

حتى إذا ما حان وقت استفتاء الشعب في الثاني والعشرين من يونيو سنة ١٩٥٦ ، وذلك لإبداء رأيه في الدستور ، وفي انتخاب عبد الناصر رئيساً للجمهورية ، نرى الشاعر هاشم الرفاعي يعبر عن رفضه لذلك ، لأن عبد الناصر لم يصبح رئيساً لمصر فقط ، بل أصبح رئيساً للوزراء ، وفي هذا إطلاق يده في الحكم ، واستبداده بالبلاد والعباد فيقول الشاعر :

لَا مَصْرُ دَارِي .. وَلَا هَذِي الرُّبُّ بَلْدِي  
 إِنِّي مِنَ الْحَقِّ فِيهَا قَدْ نَفَضْتُ يَدِي  
 فَمَا أَوْمَلُ مِنْ خَيْرٍ صَبَاحَ غَدِي  
 قَدْ أَغْمَضَ الْقَوْمَ أَجْفَانًا مُّقَرَّحَةً  
 أَمْسِي نَفَاقُ وَيَوْمِي مُلْؤُهُ كَذِبُ  
 عَلَى الْهَوَانِ وَإِنْ كَانُوا ذُوي عَدِ  
 شَعُبٌ تَلَذُّلُهُ أَسْيَافُ قَاتِلِهِ  
 حُمْرًا وَتُطْرُبُهُ تَرْنِيمَةُ الصَّفَدِ<sup>(٢)</sup>  
 فَلَا يُحِسْ وَلَا يَرْثَى لِمُضَطَّدٍ<sup>(٣)</sup>  
 وَقَدْ أَرَاهُ وَسَوْطَ الْدُّلُّ يُلْهِبُهُ

فالشاعر قد نفض يده من سلبية الشعب ، ومن تسلیمه باستبداد الحكام ، والانفراد بالسلطة ، خاصة بعد أن رأى الحياة التي يعيشها الجميع ، والتي صارت مزيجاً من النفاق والكذب ، وقد أغمض الكل أعينهم عن الهوان والذل ، حتى أصبحوا يستلذون هذه الحياة ،

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(2)</sup> ترنيمة الصفد : المراد صوت القيد .

<sup>(3)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

بلا إحساس ولا ألم ، فلا ثورة في وجه الظلم ، ولا رفض لما آلت إليه الأمور ، بل خنوع وخضوع .

وشعب كهذا لا يملك أمره لابد أن يكون في قبضة يد حاكمه ، يحركه كيما يشاء ، وأينما يشاء وهذا ما أقره الشاعر في قوله من نفس القصيدة :

وقال جلاده يوماً يداعبُهُ  
اخْتَرْ رَئِيسَكَ لَا تَرَهْبْ أَذَى أَحَدِ  
رَئَاسَتِي إِنْ تُرْدَهَا أَنْتَ كَانَ بِهَا  
وَلَا سِوَائِي لَهَا إِنْ أَنْتَ لَمْ تُرِدِ  
وَسِيقَ قَوْمِي إِلَى تَأْيِيدِ سَيِّدِهِمْ  
يَلِفُّ أَعْنَاقَهُمْ حَبْلُ مِنْ الْمَسَدِ<sup>(١)</sup>

إن الشاعر لا يزال ينظر هذه النظرة الرافضة لكل استسلام للسلطة ، وقد ظهر هذا في نظرته لمجلس النواب الذي انتخب في الثالث من يوليو سنة ١٩٥٧ ، إنه يرى كل ذلك إيهاماً للشعب ، لا تحقيقاً للديمقراطية كما يدعى جمال عبد الناصر ، لذلك نرى نظرته لمجلس النواب هذا في قوله :

هَا هُمْ كَمَا تَهْوِي فَحَرَّكُهُمْ دُمَى  
لَا يُفْتَحُونَ بِغَيْرِ مَا تَهْوِي فَمَا  
إِنَّا لَنَعْلَمَ أَنَّهُمْ قَدْ جُمِعُوا  
لِيُصْفِقُوا إِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَكَلَّمَا<sup>(٢)</sup>

فالشاعر يرى أعضاء مجلس النواب وكأنهم دمى في يد السلطة ، لا يفتحون فمهם بغير ما يحب ويرضى ، ولا يتحدثون إلا إذا أراد لهم ؛ لأن كل وظيفتهم في المجلس التصفيق والتهليل لكل كلمة يقولها عبد الناصر ، وفي هذا الهوان والرضوخ للسلطة التي تستعبد نواب الأمة وتسيطر عليهم .

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(٢)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

ولا يترك الشاعر المناسبة تمر بدون أن يوضح رأيه في السلطة وفي جمال عبد الناصر،  
هذا الرأي الذي عبر عنه ماراً في ديوانه "جراح مصر" ، لذلك نراه يوجه إليه النقد ويقول

له :

أَيُّ الشَّيَاطِينَ اجْتَبَاكَ فَكُنْتَ فِي  
كَلْمَاتِكَ الْجُوفَاءِ كَانَ طَنِينُهَا  
تَنْسَابٌ فِي آذَانِنَا مَعْسُولَةٌ  
غَرَرْتَنَا يَوْمَ الْقَنَالِ وَكُنْتَ لَا  
فَأَبْيَتَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ كَعَهْدِنَا

إِحْكَامٍ تَدْبِيرٍ الْمَكْيَدَةِ مُلْهَمَةٌ  
صَرَخَاتٍ ذِئْبٍ فِي إِهَابِكَ قَدْ نَمَّا  
وَإِذَا جَاهَا الدَّوْقُ كَانَتْ عَلْقَمَةٌ  
تَنْفَكُ إِذَا ذُكِرَ الْعِدَادُ مُتَهَّكِمَةٌ  
بِكَ فِي النَّعْوَمَةِ وَالضَّرَاوَةِ أَرْقَمَةٌ<sup>(١)</sup>

فالشاعر يرى أن كلمات عبد الناصر لا تنفك تخرج عن الكيد بالشعب والماوغة معه ،  
هذه الكلمات تبدو في ظاهرها كالعمل حتى إذا ما انكشفت الحقيقة كانت شديدة المرارة ؛  
لأنها تصدر عن إنسان مراوغ قد ارتدى جلود الأفاعي ، ولذلك فقد غرر بالشعب المرة بعد  
الأخرى ، وكلما حاول الشعب تصديقه خرج عليه بخدعة جديدة كخدعة القناة وغيرها .

وقد بلغ الشاعر قمة الغضب والثورة في قصidته الشهيرة "رسالة في ليلة التنفيذ" ،  
وهي القصيدة التي صاغها على إثر رسالة تلقاها من زميل له ينتظر تنفيذ حكم الإعدام ،  
ويوصي الشاعر بأن يُسرّي عن أمه ووالده ، فألهمنته هذه الرسالة وأوحى إليه بقصidته التي  
جاءت في قمة ما كتب الشاعر وأبدع ، وأغلب الظن أن الشاعر قد صاغها في سنة ١٩٥٥ لا في  
سنة ١٩٥٨ كما ذكر في الديوان الذي حققه الأستاذ كامل حته .

وقد آثر الشاعر هاشم الرفاعي اللجوء لأسلوب التورية في قصidته هذه حتى يتمكن من  
إخراجها للنور ، وقد تأخر في إلقاء هذه القصيدة حين ألقاها لأول مرة في المهرجان الشعري  
لكلية دار العلوم في السادس عشر من مارس سنة ١٩٥٨ ، كما نجد أن الشاعر في هذه القصيدة

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

قد " آثر أن يتحدث عن كل إنسان مُكافح ، طُورَد وشُرِّد وعُذِّبَ ولقى من الهوان وال العذاب في غياب السجون ما لاقى ، فَحَوَّل القضية من شباب الأحزاب المصرية ومنهم الدعاة الإسلاميين ، إلى قضية الشباب المطارد في كل مكان و زمان ، ومن قضية الإنسان المصري أو العربي المسلم إلى قضية الإنسان الذي تسلَّط عليه الإنسان ، فهي قضية الشباب آنذاك ، في العراق وفي فلسطين والصومال ، كما هي قضية الشباب في إفريقيا وأسيا وأوروبا وغيرها ، فهي قضية صاحب المبدأ ، وصاحب العقيدة الذي يلقى حتفه في سبيل إيمانه وعقيدته ، وعلى رأس ذلك قضية الشباب المسلم في كل مكان " <sup>(١)</sup>

إن ثورة الشاعر في هذه القصيدة لا تبدو تُجاه فرد بعينه ، ولا ضد سلطة سياسية معينة ، ولكنها ثورة ورسالة تصلح لكل مكان و زمان ضد أي مظاهر الظلم والطغيان .

ولذلك يقول الشاعر في مطلع قصidته :

أَبَتَاه مَاذَا قَد يَخْطُبْ بِنَانِي	وَالْحَبْلُ وَالْجَلَادُ مُنْتَظَرَانِ
هَذَا الْكِتَابُ إِلَيْكَ مِنْ زِنَازَةٍ	مَقْرُورَةٌ <sup>(٢)</sup> صَخْرِيَّةُ الْجُدْرَانِ
لَمْ تَبْقَ إِلَّا لِيَلَةٌ أَحْيَا بِهَا	وَأَحْسَنُ أَنْ ظَلَامَهَا أَكْفَانِي <sup>(٣)</sup>

إن الشاعر يصور في هذه الأبيات حال الشهيد وهو ينفث زفاته ، ويرسل بر رسالة إلى والده من خلف القضبان الصخرية ، إنه في زنزانته الباردة لم يبق له سوى ليلة واحدة وأخيرة في الحياة ، وبعدها ستحمل جثمانه بعد أن تلفني في أكفاني التي نُسِّجَت من ظلام الليالي السوداء قبل أن تنسيج من قماش .

إن الشاعر يصور حالة الظلم والألم التي تَلْفُ الشهيد في قوله :

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(2)</sup> :

<sup>(3)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

اللَّيْلُ مِنْ حَوْلِي هَدْوَهُ قَاتِلُ  
وَبِهَدْنِي أَمَّى فَأَنْشُدُ رَاحَتِي  
والذكريات تَمُورُ فِي وِجْدَانِي  
فِي بَضَعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ<sup>(١)</sup>

إنه يحاول أن يمحو حالي الظلام ظلام الليل وظلم الظلم ، فلم يجد أفضل من بعض آيات من القرآن ليأخذ منها النور الذي يُضئ كل حياته وحياة الناس من حوله .

ولكن هل من أمل في زوال هذا الظلم والظلم ؟ إن هذا الأمل يتضح من قول الشاعر :

وعلى الجِدارِ الصُّلْبِ نافذةً بِهَا  
مَعْنَى الْحَيَاةِ غَلِيظَةُ الْقُضَبَانِ  
فِي الثَّائِرِينَ عَلَى الْأَسَى الْيَقْظَانِ  
قَدْ طَالَمَا شَارَفْتُهَا مُتَأْمِلاً  
مَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ غَلَيَانِ  
فَأَرَى وُجُوماً كَالضَّبَابِ مُصَوْرَاً  
كَتَمُوا وَكَانَ الْمَوْتُ فِي إِعْلَانِ  
نَفْسُ الشُّعُورِ لَدَى الْجَمِيعِ وَإِنْ هُمْ<sup>(٢)</sup>  
إن الشاعر يرى هذا الأمل ويحاول أن يستشرفه من خلال هذه النافذة ، ورغم أن قضبانها حديدية غليظة ، إلا أن المنحة لا تولد إلا من قلب المحنـة ، وهذه النافذة التي يرى منها الشهيد كل ما حوله ، هي التي ينبعـث منها الأمل والنور معاً ، وهي التي تبعث الحياة في نفس الشهيد وغيره من الثائرين الواجبـين الذين يكتـمون غـيـظـهم في قلوبـهم ، وإن كانت أنفسـهم تـفيـضـ بالثـورـةـ والـغـضـبـ رغمـ قـربـ الموـتـ منهمـ .

ولكن فجأة يطالـنا الشـاعـرـ بـهـذـاـ السـؤـالـ الذـيـ يـدورـ بـيـنـ جـوانـجـ الشـهـيدـ حـينـ يـقـولـ :

وَيَدُورُ هَمْسٌ فِي الْجَوَانِحِ مَا الَّذِي  
بِالثَّوْرَةِ الْحَمْقَاءِ قَدْ أَغْرَانَيِ ؟  
أَوْ لَمْ يَكُنْ خَيْرًا لِنَفْسِي أَنْ أُرَى  
مَثَلَ الْجَمْمُوعِ أَسْسِيرُ فِي إِذْعَانِ  
مَا ضَرَّنِي لَوْ قَدْ سَكَتُ وَكُلَّمَا  
هَذَا دَمِي سَيَسِيلُ يَجْرِي مُطْفِئًا  
وَالْظُّلْمُ بَاقٍ لَنْ يُحَطِّمَ قَيْدَهُ  
غَلَبَ الْأَسَى بَالْغَتُ فِي الْكِتَمَانِ  
مَا ثَارَ فِي جَنْبَيِّ مِنْ نِيَرَانِ  
شَاهَةٌ إِذَا اجْتَثَتْ مِنَ الْقُطْعَانِ<sup>(١)</sup>

<sup>(1)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

إنه غير آسفٍ على ثورته حتى إنه يرى أن الناس في وطنه يشاركونه نفس المشاعر ، ولكن هذا السؤال هو حديث النفس البشرية في لحظات الضعف ، وقد تبدي لنا نفس هذا الشعور في الكثير من أحاديث الشعراء مع أنفسهم، إن النفس تطلب منه هنا أن يكتم مشاعر الأسى والحزن في داخله ولا يبديها كما كان يفعل الكثيرون ، وتطلب منه أن يخفي ثورته وإحساسه بالظلم ؛ لأن دمه سيسيل فتنطفئ ناره وحماسته وتموت معه ثورته ، بينما الظلم والطغيان قائم موجود لن يتغير ، ولن ينزل من فوق رقاب العباد طالما هم الذين اختاروا الصمت ورضوا بالهوان .

ولكن سرعان ما تعود للنفس يقطتها فنراها تنتفض وتقول

هذا حديث النفس حين تشف عن بشرتي وتمور بعد ثوانٍ أسمى من التصفيق للطغيان ستظل تغمر أفقهم بدخانٍ ودم الشهيد هنا سيلتقيان <sup>(2)</sup>	وتقول لي : إن الحياة لغايةٍ أنفاسك الحرّ وإن هي أخدمت دفع السجين هناك في أغلاله
---	---

إنه الهمس الذي لم يأخذ من النفس البشرية إلا ثوانٍ معدودات في قولها " ما الذي بالثورة الحمقاء قد أغريني ؟ " ، ثم عادت إلى الطريق الصحيح مرة أخرى ، فالنفس التي تضحي بنفسها من أجل مبدئها أسمى من منافقة الطغاة والتصفيق لهم ، فهذه الدماء الزكية التي ستتسيل ، وهذه الأنفاس الحرة التي ستحمد ، وهذه السياط التي تعطي أجساد المظلومين ؛ هي انطلاقه الصباح وأشعة الفجر ونسائم الحرية التي ستزيل ظلام الظلم والطغيان .

---

<sup>(1)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :  
<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

لذلك نرى الشاعر يعبر عن اليوم الذي سيأتي لا محالة فيتحرك طوفان الناس ليجرف  
أمامه عفن الظلم والاضطهاد وكأنه كان يرى بعين البصيرة حين قال :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ تَمَرُّدِ الْفَيَاضَانِ  
بَعْدَ الْهُدوءِ وَرَاحَةِ الرُّبَّانِ  
أَمْرُ يُثِيرُ حَفِيظَةَ الْبُرْكَانِ  
سَيْلٌ يَلِيهِ تَدْفُقُ الطُّوفَانِ  
أَقْوَى مِنِ الْجَبَرُوتِ وَالسُّلْطَانِ<sup>(١)</sup>

حَتَّى إِذَا أَفْعَمْتُ بِهِمَا الرُّبَّى  
وَمِنِ الْعَوَاصِفِ مَا يَكُونُ هُبُوبُهَا  
إِنَّ احْتِدَامَ النَّارِ فِي جَوْفِ التَّرَى  
وَتَتَابُعُ الْقَطَرَاتِ يَنْزُلُ بَعْدَهُ  
فَيَمْوِجُ يَقْتَلُعُ الطُّغَاهَ مُزْمَجِراً

إن الشاعر يرى أن تتبع صيحات الثائرين ، وكفاح المكافحين ، لابد وأن يثير  
حفيظة الناس في وجه الطغاة المستبددين ، والحكام الظالمين ، فيهب الجميع في ثورة عارمة  
تضم كل الجموع ؛ لتقتلع جذور الظالمين ، وتقسم ظهر الجبارين ، فدائماً جموع الشعب  
أقوى من جبروت السلاطين ونفوذهم .

ثُمَّ يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ عَمَّا يَدُورُ بِخَلْدَهُ مِنْ خَواطِرِهِ حِينَ يَقُولُ :

أَنَا لَسْتُ أَدْرِي هَلْ سَتَذَكَّرُ قِصَّتِي  
أَمْ سُوفَ يَعْرُوهَا دُجَى النِّسِيَانِ  
أَوْ أَنْذِي سَأَكُونُ فِي تَارِيَخِنَا  
كُلُّ الَّذِي أَدْرِيَهُ أَنْ تَجَرُّعِي  
لَوْلَمْ أَكُنْ فِي شَوَّرَتِي مُتَطَلِّبًا  
أَهْوَى الْحَيَاةَ كَرِيمَةً لَا قِيَدَ لَا  
مُتَآمِرًا أَمْ هَادِمَ الْأَوْثَانِ  
كَأسَ الْمَذَلَّةِ لَيْسَ فِي إِمْكَانِي  
غَيْرَ الضَّياءِ لَأَمْتَي لَكَفَانِي  
إِرْهَابَ لَا اسْتِخْفَافَ بِالْإِنْسَانِ<sup>(٢)</sup>

وأبداً أيها الإنسان العظيم لن ينسى أحد قصتك ، ولن تدخل في طي النسيان ،  
فأنت مضرب المثل لمن أراد الحياة الكريمة في وجه ظلم الحكام واستبداد السلطة ، وقصتك  
لن تواري التراب أبداً فيكتفي أن حياتك التي قدمتها راضياً مطمئناً ، ستكون شعاعاً من نور  
على طريق الكفاح والنضال ، وستظل معقلاً الأمل لكل من كافح من أجل عزته وكرامته ،

<sup>(1)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :  
<sup>(2)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

ومن أجل المبادئ الإنسانية السامية التي دعت إليها كل المدنيات والحضارات الحديثة من حرية وحياة كريمة بلا قيد ولا قهر ولا إرهاب ولا استخفاف بالرأي .

حتى إذا ما وصل الشاعر لختام هذه الملحمة الرائعة حين يقول :

لَكْنْ إِذَا افْتَصَرَ الضِّيَاءُ وَمُزِقَتْ  
بِيْدِ الْجُمُوعِ شَرِيعَةُ الْقُرْصَانِ  
فَلَسَوْفَ يَذْكُرُنِي وَيَكْبِرُ هَمَّتِي  
مَنْ كَانَ فِي بَلْدِي حَلِيفٌ هَوَانِ  
وَإِلَى لِقَاءِ تَحْتَ ظِلِّ عَدَالَةِ  
قُدْسِيَّةِ الْأَخْكَامِ وَالْمِيزَانِ<sup>(١)</sup>

إن الشاعر يبدو في هذا الختام الرائع وكأنه يشتراك مع القدر في صنع النهاية ، إنها تعبر عن حياة الشاعر وكفاحه ، وبأنه إذا لم يلق جزاءه في الدنيا ، فإن جزاءه عند المطلع على السرائر في الآخرة ، ودائماً إذا اختلت موازين الأرض بسبب الطغاة المستبددين والسلطة الفاسدة ، فسوف تستظل جميعاً بعدها السماء المقدسة ، حيث لا جور ولا ظلم ولا بهتان ، بل كل شيء بميزان .

وعلى الجانب الآخر نجد التأييد الكامل للسلطة في شكل أصحابها ورموزها عند الكثير من الشعراء ، بل نجد ذلك التأييد عند هاشم الرفاعي نفسه ، الذي أيد ثورة يوليوا وامتدح زعماءها في ثلاثة قصائد .

ومن أبرز هذه القصائد قصيدة " في عيد الوحدة " التي ألقاها الشاعر بين يدي الرئيس جمال عبد الناصر ، وذلك في مهرجان الوحدة الذي أقيم بميدان الجمهورية ، وقد وصف الشاعر هذا اليوم في مذكراته قائلاً " الأحد ٢٢ فبراير ١٩٥٩ يوم من أيام حياتي الخالدة ، ألقيت قصيدة في مهرجان الوحدة بميدان الجمهورية ( عابدين ) بحضور الرئيس

<sup>(1)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

جمال عبد الناصر والmarshal تيتو وزراء الكبار ، وشد على يدي عبد الناصر قائلاً : لا فُضَّلَ فوك . ”<sup>(١)</sup>

ومن أبرز ما قاله هاشم الرفاعي عن عبد الناصر في هذه القصيدة :

أَرَى مِنْ أَمْتَقِي جِيلِيَا يَسُوقُ الْحُبَّ إِكْلِيلِيَا وَجَاءَ يُعَانِقُ النِّيلَا زَعِيمًا كَانَ مَأْمُولَا بِأَكْرَمِ مِنْكَ مَسْئُولَا وَشَعْبُ حَوْلَكَ الْتَّفَّا وَرَاءَكَ كُلُّهُمْ صَافَّا يُصَافِحُ لِلْعُلَا كَفَّا	مَشَّى فِي رَكْبِهِ بَرَدَى وَحَيَا فِي مَوَاكِبِهِ وَمَا عَلِقَتْ أَمَانِيَهِ جُمُوعُ أَنْتَ بَاعِثَهَا رَأَيَتْهُمْ وَوَقَدْ وَقَفَا شَبَابُ إِنْ تُصَافِحْهَا
---	---

فالشاعر يبدأ قصيدته بالتأكيد على أهمية هذا الجيل الذي سيصنع مجد الأمة ، ويقودها إلى الوحدة متمثلة في وحدة مصر وسوريا ، ثم يتحدث الشاعر عن الزعيم جمال عبد الناصر في بقية الأبيات ؛ لأنه يرى فيه الزعيم المؤمل الذي ظلت الأمة تبحث عنه حتى وجدته في شخصه ، وهو أعظم مسئول ، وأكرم إنسان تلتف حوله جموع الشعب ، ويقفون وراءه وكأنه إمامهم ، وما دام هو القائد والملهِم والزعيم والمسئول فهو قدوة الشباب الذي تمتد نحوه الأيدي وكأنه نجم العلا .

والقصيدة الثانية بعنوان ”شعب وقائد“ ، وهي القصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقامه الاتحاد القومي بمناسبة عيد الجلاء ، وقد أقيمت هذه القصيدة يوم الجمعة الموافق ١٢ من يونيو سنة ١٩٥٩ م ، ومن أبرز ما قاله الشاعر عن جمال عبد الناصر في أبيات متفرقة من هذه القصيدة :

---

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :  
<sup>(٢)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

أَلْفَيْتُ إِلَّا سَامِعًا وَمُجِيبًا  
 كُبْرَى وَيُبْصِرُ قَائِدًا مَحْبُوبًا  
 أَهْدَتْ إِلَيْهَا صَانِعًا مَوْهُوبًا  
 أَحْيَا إِلَهًا عَلَى يَدِيهِ شُعُوبًا  
 رَجُلٌ كَهَذَا لَنْ يُرَى مَغْلُوبًا  
 جَئْنَا نُرَدِّدُ عَهْدَنَا الْمَكْتُوبًا  
 بَيْضَاءَ تَعْبَقُ<sup>(١)</sup> فِي المَدَائِن طِيبًا  
 ثُسْقَى دَمًا يَجْرِي لَدِيهِ صَبِيبًا<sup>(٢)</sup>

وَدَعَاهُ دَاعٍ بِالْعَلَاكِلِفُ ، فَمَا  
 وَتَلَفَّتَ التَّارِيخُ يَشْهُدُ دُولَةً  
 هَذِي حِكاِيَةُ أَمَّتِي ، فِي ثُورَةٍ  
 لَمْ يُخْيِ شَعْبًا وَاحِدًا لَكِنَّمَا  
 شَعْبٌ كَهَذَا قَادَهُ فِي زَحْفٍ  
 فَانْهَضْ بِشَغْبَكَ يَا جَمَالُ فَإِنَّنَا  
 إِنْ شِئْتَ أَفْعَمَنَا<sup>(١)</sup> الْوُجُودَ مَحَبَّةً  
 أَوْ شِئْتَ أَنْبَثَنَا الْأَدِيمَ جَمَاجِمًا

ويتبين من هذه الأبيات نفس الغرض الذي يظهر في القصيدة السابقة ، وذلك حين يؤكد الشاعر على أن الشعب بأسره يقف خلف قائده جمال عبد الناصر ، حتى أنه إذا ما دعاه داعٍ ، أسرع ولبى النداء ، فالشعب كله سامع ومجيب ، وهذه من علامات الدول الكبرى الناهضة ذات القيادة الحكيمة الرشيدة المحبوبة ، ويبين لنا الشاعر الدور العظيم لمصر وقائدها ليس في الداخل فحسب ، ولكن في البلاد المحيطة بأسرها ، فمصر هي التي حملت شعلة الحرية في المنطقة ، ومصر هي التي قادت البلاد نحو المطالبة بحريتها ، بل وساعدت الكثير من البلدان على نيل حريتها واستقلالها ، وكان القائد والزعيم جمال عبد الناصر لم يُرسله الله لمصر فقط ، وإنما أرسله كمخلص للكثير من الشعوب .

لذلك يطلب الشاعر من الزعيم والقائد جمال عبد الناصر أن ينهض بالشعب ، ويقوم بمسؤولياته الجسم ، ونحن من وراءك يا جمال على العهد ولن ننكث أبداً ، ولن نتقهقر ، بل نحن رهن إشارتك ، فإن شئت ملأنا الأرض محبة ومودة تنتشر في كل أرجائها بالطيب

<sup>(1)</sup>

<sup>(2)</sup>

الطيب : . . . :

ديوان هاشم الرفاعي :

والتعيم والسلام ، وإن أردت ملأنا الأرض بجماجم أعدائنا التي تقطر دماً متدفقاً في كل مكان ، فنحن وراءك ومعك يا جمال في السلم وفي الحرب .

أما القصيدة الثالثة والتي بعنوان " عيد الثورة " ، فقد وجِدت على مكتبه يوم استشهاده ، وهي القصيدة التي كان يريد أن يُحيي بها الثورة في عيدها السابع ولكنها لم تكتمل ، وفي هذه القصيدة كان يرى الثورة بمثابة الفجر بعد طول ظلام حين يقول :

أعِيدِي قِصَّةَ النَّصْرِ وَمَوْعِدِنَا مَعَ الْفَجْرِ  
وَزَحْفَ النُّورِ مِنْ غَسَقِ الدُّجَى فِي سَاعَةِ الصَّفَرِ  
فَتِلَكَ حِكَايَةٌ يَا أَمْتَي أَحْلَى مِنْ الْعُمَرِ<sup>(١)</sup>

---

<sup>(١)</sup> ديوان هاشم الرفاعي :

## النتائج :

- تنازعت العوامل النفسية للشاعر في أبياته ، فأحياناً يلهمج بأمجاد الثورة حين يكون راضياً عنها ، وأحياناً أخرى يتخذ منها موقف الناقد العنيف لما يلمسه من تسلط وعنف ضد الشعب .
- تأثر هاشم الرفاعي في قصائده بالتوجه الشعبي العام الذي يقف بكل جوانحه خلف الزعيم جمال عبد الناصر ، وجاءت أبيات قصائده التي تناولت هذا الاتجاه داعمة له واقفة إلى جواره .
- لم يتعرض الشاعر من خلال أبياته للسياسة الاشتراكية التي اتبعها عبد الناصر منذ بداية حكمه إلا في أحيان قليلة ، وربما يكون السبب وراء ذلك لقصر الفترة التي قضتها الشاعر في أحضان السلطة والتي لم تتجاوز سبع سنوات .